الأزمات المالية لديوان المفرد السلطاني خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/١٣٨٢- ١٥١٧م)

حسن ناصر حسن العلواني (*)

المقدمة:

بلغت النُّظمُ الإداريةُ في الدولة المملوكية درجةً عاليةً من الدِّقَّة والإحكام؛ فكانت في القاهرة إدارةٌ كبيرةٌ وقويةٌ، ترتكزُ هذه الإدارةُ وتقومُ على مجموعةٍ من الدواوين التي ضمت عددًا كبيرًا من الموظفين، ومن هذه الدواوين: ديوان الإنشاء، وديوان الجيش، وديوان الأحباس، وديوان الوزارة، وديوان الخاص(١).

ومن الدواوين التي استحدثت في عصر سلاطين المماليك الجراكسة ديوان المفرد السلطاني، فقد أنشأه السلطان الظاهر برقوق في سلطنته الأولى (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢_ ١٣٨٩م)(٢) من أجل إحكام قبضته على البلاد وإضعاف الوزارة، وأشرف هذا الديوان على الإقطاعات(٣) الخاصة بالسلطان، وتحصيل الرسوم من البلاد المخصصة لهذا الديوان، والتي تزيد عن مائة وستين (١٦٠بلدًا)؛ وذلك لصرف هذه الإيرادات على ما يلزمُ مماليك السلطان من رواتبَ وكسوةٍ وزادٍ لهم

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [ديوان المفرد السلطاني في مصر عصر سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية]، وتحت إشراف: أ.د. عمر جمال محمد علي – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. صفاء شكري نظير علي – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٣٦٦.

(٢) هو السلطان سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسي، وُلد سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م ثم أحضره الخواجا عثمان من بلاده وسمي برقوق لفتور كان بعينه ولا زال يترقى إلى أن تسلطن سنة ٧٨٤ه/١٣٨٢م واستمر حتى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، ثم خلع لمدة عام وعاد بعد ذلك واستمر حتى تُوفّي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م وخلف العديد من الآثار فكان أعظم ملوك الجراكسة. ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المصري، ت: ٨٠٩هـ/١٤٠٧م) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، ١٩٨٢م، ص٤٥٧، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت: ٨٤٧ه/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٣، ص٢٨٥، ٢٨٧، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت:٩٣٠ه/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ص٣١٩، ٥٢٦.

(٣) الإقطاعات: هي عبارة عن أراضي تمنح للأمراء والجند، وهذه الأراضي يتصرف فيها مقطعها كيف شاء، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل، وتختلف باختلاف حال أربابها. القلقشندي (أبي العباس أحمد القلقشندي، ت: ٨٢١ه/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢، ج٤، ص٥٠.

ولخيلهم، ورواتب الفقهاء والموظفين، وكان هذا الديوان دائمًا موضعَ اهتمام سلاطين المماليك بعد السلطان الظاهر برقوق، فعملوا على تقوية نفوذ صاحبه، وتنفيذ كلامه، فكثيرًا ما كانوا يُردِّدون القولَ: " إنَّ ديوانَ المفرد هو بيتُ مالِ المسلمين فتجبُ عمل مصالحه "[١].

وقد تعرَّض هذا الديوانُ لكثيرٍ من الأزمات، حيث كان في عجزٍ دائمٍ عن سدِّ ما عليه من التزاماتٍ، ولمْ تنجحْ -دائمًا- الحلولُ التي قُدِّمتْ لسير الأمور كما ينبغي، مثل: مساعدة السلاطين المستمرة بمدِّ الديوان بمبالغَ من مال الخزانة بالإضافة إلى السلف والقروض من ديوان الذخيرة[٢]، فمع ذلك ظلَّت الميزانياتُ التي تعملُ للديوان المفرد يقلُّ فيها المتحصلُ عن المنصرف بقدرٍ هائلٍ[٣].

وسوف نعرضُ من خلال هذا البحث الأزماتِ التي أدَّت إلى عجز الديوان المفرد عن القيام بمهامه:

١- قِلَّة موارد الديوان:

لقد كانت نفقاتُ ديوان المفرد تُوجَّهُ للنفقة على المماليك السلطانية[٤]، وغيرهم من الفئات التي يتولَّى الديوانُ الإنفاقَ عليها، وكان ذلك أحد أهم أوجه نفقاته[٥].

وكان ديوانُ المفرد في عجزٍ دائمٍ عن القيام بمهامه؛ وذلك لعدَّة أسبابٍ، يأتي في مقدمتها: الخراب الذي عمَّ بلاد ديوان المفرد؛ وذلك نتيجة الإهمال، والمظالم[٦] -أيضًا- قام بعض السلاطين بمنح كثير من إقطاعات هذا الديوان للأمراء والأجناد؛ وذلك لشراء ولائهم[٧]، فقد قام السلطان خشقدم ٨٦٥- ٨٧٢هـ/١٤٦١- ١٤٦٧م بشراء ٢٠٠ مملوك، وأعتقهم، وأقطعهم إقطاعات من ديوان المفرد[٨]، وقام السلطان قايتباي ٨٧٢- ٩٠١هـ/١٤٦٧- ١٤٩٦م بشراء ٢٠٠ مملوك، وأعتقهم، وأقطعهم إقطاعات من ديوان المفرد[٩]، وقام السلطان الغوري ٩٠٦- ٩٢٢هـ/١٥٠٠- ١٥١٦م بشراء ٢٠٠ مملوك، وأعتقهم، وأقطعهم إقطاعات من ديوان المفرد[١٠]، وقام السلطان طومان باي ٩٢٢- ٩٢٣هـ/١٥١٦- ١٥١٧م بشراء ٢٠٠ مملوك، وأعتقهم، وأقطعهم إقطاعات من ديوان المفرد[١١].

---

(١) ابن كنان (محمد بن عيسى بن كنان، ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عيسى صباغ، الطبعة الأولى، دار النفائس بيروت، ١٩٩١م، ص١٢٢.

(٢) ديوان الذخيرة: كان هذه الديوان من أجل الدواوين، واختص بتسليح المماليك السلطانية وأجناد الحلقة في الجيش المملوكي، بالإضافة إلى الهدايا الحربية التي كان يخرجها السلطان لأمرائه. ابن شاهين (غرس الدين بن خليل الظاهري، ت: ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩١م، ص١١٠.

(٣) مجدي عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٩٢.

(٤) المماليك السلطانية: هم فرقة من طوائف الجيش في العصر المملوكي، وهم أعظم الأجناد شأنا، وأرفعهم قدرا، وأشدهم إلى السلطان قربا، وأوفرهم إقطاعا. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٥) محمد فتحي الزامل، التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢٣٧.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٨٢١.

(٧) عبد الباسط بن خليل (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، ت: ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٦، ص١١٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٨٣.

١٤٦٧م[١] عقب اعتلائه للسلطنة بالاستيلاء على إقطاعات الديوان المفرد، ومنحها إلى بعض الأمراء والمماليك السلطانية؛ ليشتري ولاءهم، ويثبت أقدامه في الحكم[٢].

وقد أثَّرت هذه الأحداث على متحصل الديوان المفرد، وبالتالي أدَّى ذلك إلى عجز الديوان عن الوفاء بالتزاماته، وعلَّق على ذلك ابنُ تغري بردي[٣]بقوله: " فلمَّا فلمَّا كان يوم السبت ثالث شوال ٨٥٦هـ/١٤٥٢م شرع السلطان في تفرقة نفقة المماليك السلطانية، ففُرِّقت في كل يوم طبقةٌ واحدةٌ _ لِقِلَّة متحصل الخزانة الشريفة _ لكل واحدٍ مائةُ دينارٍ، ولمَن يستخفون به خمسون دينارًا، وبالجملة فقد فُرِّقت أقبح تفرقةٍ؛ لعجز ظاهر، وقِلَّة موجود، ومصادرات الناس".

وقد وصل العجزُ في ديوان المفرد سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م مبلغ ٦٠٠٠٠ ألف دينار عن جميع ما يرد إليه من خراج النواحي[٤].

وكان من ضمن الأسباب التي أدَّت إلى عجز الموارد المالية للديوان المفرد، هو استيلاء بعض الإستادارية[٥] على جزءٍ من أموال الديوان المفرد لنفسه، ففي صفر ٨٥٨هـ/١٤٥٤م اتهم الإستادار زين الدين يحيى بن عبد الرازق[٦] خليفته في

---

(١) هو السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري المؤيدي السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية تسلطن بعد خلع الملك المؤيد أحمد في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م، وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر وعظم بآخر أيامه وخافه الخاص والعام إلى أن مرض وطال مرضه، مات عاشر ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٨م. ابن تغري بردي، مورد اللطافة في مَن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧، ج٢ ، ص١٧٣، ١٧٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ج١٦، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٩.

(٤) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٧، ص١٨٨.

(٥) الإستادار: بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه وتمتثل أوامره فيه، وهو مركب من لفظين فارسيين: إحداهما إستد، بهمزة مكسورة ومعناها الأخذ، والثانية دار، ومعناها الممسك، فيكون المعنى المتولي للأخذ؛ وسُمِّي بذلك لأنَّه يتولَّى قبض المال، وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المكابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وكان يشغلها أمير واحد من مقدمي الألوف وثلاثة من أمراء الطبلخاناه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠، ج٥، ص٤٥٧، السحماوي، الثغر الباسم، ج١، ص٣٩٣، ٣٩٤.

(٦) هو الأمير يحيى بن عبدالرازق القبطي المعروف بالأشقر وُلِّي نظر ديوان المفرد أكثر من مرة، وكذلك وُلِّي الإستادارية، نكب بعد موت الظاهر جقمق مرارا وصودر وضرب وانتهى أمره إلى الضرب والمصادرة في عهد الأشرف قايتباي توفي في ربيع الأول سنة

الإستادارية عليًّا بن الأهناسي[١] بأنَّه قد استولى على أربعين ألف دينارٍ من أموال الديوان المفرد[٢].

وقد حاول بعضُ السلاطين النهوضَ بديوان المفرد؛ فكانوا يمدون الإستادار ببعض الأموال الإضافية؛ للقيام بما على ديوانهم من التزامات، فقد قام السلطان الأشرف أينال في سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣/٨٦٥- ١٤٦٠م[٣] بتقديم عشرة آلاف دينار إلى الإستادار علي بن الأهناسي؛ ليستعين بها في نفقات شهر رمضان[٤].

وقد أشار الإستادار منصور بن الصفي[٥] إلى أنَّ الفجوة بين إيرادات الديوان المفرد ونفقاته قد بلغت ١٢٠٠٠ دينار[٦]، وقد اعتاد السلطان خشقدم في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م أن يقدم للإستادار حوالي عشرة آلاف دينار شهريًّا[٧] -وإن كانت

١٤٦٩/٨٧٤م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥٣، ٣٥٤، السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م،، ج١٠، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(١) هو الأمير علي بن الأهناسي كان رئيسًا حشمًا في سعة من المال، وُلِّي عدة وظائف، منها: البردادارية، والإستادارية، والوزارة، قبض عليه السلطان الظاهر خشقدم، وأخذ منه نحوًا من مائة ألف دينار، ونفاه إلى مكة، مات بها سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢٣.

(٢) البقاعي(إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إظهار العصر لأسرار أهل تحقيق: محمد سالم، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ق٢، ص١٦، ١٧.

(٣) هو السلطان الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبدالله العلائي الظاهري اشتراه الخواجا علاء الدين وقدم به إلى القاهرة اشتراه الظاهر برقوق ودام إينال كتابيا بطبقة الزمام ثم أعتقه الناصر فرج عمل خاصكيا ثم ولي إمرة عشرة ثم إمرة طبلخاناة ثم تقدمة ألف ثم رأس نوبة ثم أصبح نائب غزة ثم الرها ثم صفد ثم عاد إلى مصر وأنعم عليه الظاهر جقمق بإمرة مائة وتقدمة ألف ثم مات المنصور جقمق وولي بعده ابنه المنصور عثمان فحدثت بينه وبين أينال فتنة حتى خلع المنصور وتسلطن أينال في ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة ثم استعفي لمرضه وتسلطن بعده ولده المؤيد أحمد في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م، مات في جمادى الأولى من نفس العام. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ١٥٧.

(٤) البقاعي، إظهار العصر، ق١، ص٤٢٠، ٤٢١.

(٥) هو الأمير منصور بن الصفي القبطي، كان أبوه من الكتبة فنشأ ابنه على طريقته، خدم في بعض جهات المفرد، ثم في ديوان الأمير قانم التاجر بحيث عرف به، ثم اتصل بالزين الإستادار وبزوج ابنته، ورقاه لنظر المفرد، بل ولي الوزارة بعده ثم الإستادارية، ثم قبض عليه بدون ذنب ظاهر وصودر وأهين بالضرب والحديد، وحكم فيه أعداؤه وآل أمره إلى أن ضربت عنقه في شوال سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٧٠، ١٧١.

(٦) البقاعي، إظهار العصر، ق٣، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٧) ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: فهيم شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م، ج٣، ص٤١٣.

تقلَّصت في سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م إلى ثمانية آلاف دينار- ؛ ليستعين بها الإستادارية على تغطية العجز في الموارد المالية للديوان المفرد(١).

ومع هذه المحاولات للنهوض بأحوال الديوان إلَّا أنَّه ظلَّ في عجزٍ دائمٍ، وفشل العديد من الإستادارية في التغلب على هذا العجز(٢).

٢- نفقات مواجهة فساد العربان:

لم تستمر أحوال مصر الداخلية على حالةٍ واحدةٍ من الهدوء والسكينة طوال عصر المماليك، وإنَّما كانت تشتعل الثورات من فترةٍ لأخرى في أقاليم البلاد المختلفة، وأحيانًا في العاصمة، ومعظم الثورات التي شهدتها البلاد كان مصدرها العربان في الوجهين: القبلي والبحري، وهؤلاء كان تقوم الدولة بمواجهتهم عن طريق الكشاف(٣). وولاة الأقاليم، أو ترسل إليهم تجاريد(٤). عسكرية من القاهرة يقودها أحد كبار الأمراء، مثل: نائب السلطنة، أو الوزير، أو الإستادار صاحب ديوان المفرد.

لقد وُجدت في مصر في العصر المملوكي قبائلُ كثيرةٌ من العربان، وهؤلاء انتشروا في أجزاءٍ مختلفةٍ من البلاد، وبخاصةٍ في: الشرقية، والبحيرة، والمنوفية، والفيوم، والمنيا، وأسيوط، وكان هؤلاء العربان -دائمًا وأبدًا- مصدرَ فتنٍ ومتاعبَ للحكام والمحكومين سواء، فارتبط تاريخهم في عصر المماليك بالثورات، وحوادث النهب والسلب، والاعتداء على الآمنين من أهالي القرى والمدن، حتى أصبح يشار إليهم -دائمًا- باسم: فساد العربان(٥).

وقد انتهج العربُ نحو سلاطين المماليك سلوكًا أقلّ ما يُوصف أنَّه سلوكٌ عدائيٌّ، فقد كان الرفض أو الاحتجاج هو أول ردِّ فعلٍ وتعبيرٍ عن مكنونهم تجاه هؤلاء الحكام، رفضٌ صريحٌ وواضحٌ لهم كحكام، وإصرارٌ على إسقاط حمكهم، وإبعادهم عن السلطة، فلم ينسَ العربُ للمماليك مسَّ الرق الذي ظلوا فيه سنين، فقد

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣، ص٤٤٩.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢٤، ٤٢٥.
(٣) الكشاف: جمع كلمة كاشف واستخدمت الكلمة بمعنى حاكم أو مفتش، وكان يشغل هذه الوظيفة الوظيفة أحد العسكريين في دولة المماليك، وكانت اللفظة تعني والي إقليم من مرتبة معينة. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج٢، ص٩٢٧.
(٤) التجريدة: هي الفرقة من العسكر الخيالة دون الرجالة، والمقصود بها سير الجنود على وجه السرعة دون أثقال أو حشد. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤٢.
(٥) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٣٢٦.

ذكر المقريزي[١] أنَّ زعيم الجعافرة بمصر وصف السلطان أيبك[٢] أول سلاطين المماليك بأنَّه (مملوك قد مسَّه الرق).

وقد بدأ الصراعُ بين الأعراب والمماليك منذ قيام دولتهم، وكانت بداية هذه الحملات في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م عندما ثارت قبيلةُ بني ثعلب[٣] في الصعيد، ونادى زعيمُها بأنَّه أحقُّ بالملك من المماليك[٤]، وقال: قد كفى أنَّا خدمنا بني أيوب وهم خوارج خرجوا عن البلاد[٥]، وأنفوا من حكم الترك، وقالوا: إنَّما هم عبيد للخوارج[٦]، فأرسل السلطان المعز أيبك حملةً بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ٦٧٢هـ/١٢٧٣م[٧]، نجحت في إنزال الهزيمة بالعربان وإخضاعهم[٨].

وزادت ثوراتُ العربان وفتنتهم في عهد دولة المماليك الجراكسة، وكانت أكثر ضراوةً، الأمر الذي جعل سلاطين المماليك يرسلون الحملة تلو الأخرى؛ لإخماد هذه الثورات، ففي شوال سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م كانت الفتن بين أهل البحيرة،

---

(١) البيان والإعراب عمَّا بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد النعيم ضيفي عثمان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٩، سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٦٠.

(٢) هو الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتنقلت به الأحوال إلى أن جعله جاشنكيره، وبعد مقتل توران شاه بن الملك الصالح اجتمع رأى الأمراء على سلطنة الملك المعز أيبك في ربيع الأول سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م واستمر في السلطنة إلى أن قتل في ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٢٠، ٢١.

(٣) بني ثعلب: قبيلة من قبائل العرب النازحين إلى مصر، وهي بطن من بطون الجعافرة وتنسب إلى حصن الدولة مجد العرب يعقوب بن مسلم بن جعفر، وهي من أقوى القبائل في الصعيد. المقريزي، البيان والإعراب، ص٣٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٧٩، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر (دراسة تحليلية للازدهار والانهيار)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٤٤، آ، آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م، ص٣٧٥.

(٥) حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٥٩.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٧٩، البيان والإعراب، ص٣٨.

(٧) هو الأمير فارس الدين آقطاي بن عبدالله النجمي الصالحي، كان مملوكًا لنجم الدين محمد بن يمن ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم رقاه الصالح أيوب وأمره، ثم صار أتابك الجيش في سلطنة المظفر قطز، فلما تسلطن الظاهر بيبرس قربه في أول الأمر، ثم بعد ذلك قطع غالب رواتبه، وأخرج جملة من إقطاعاته، مات في جمادى الأولى سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٥٠٤، ٥٠٥.

(٨) العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله، ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٨٨.

وقُتل عددٌ من شيوخهم، فتوجَّه الإستادار فخر الدين ابن أبي الفرج[١] لمحاربتهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وقدم ومعه مجموعة كبيرة من البقر والغنم وشيء كثير[٢]. كثير[٢]. وفي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م قُتل الأمير آقبغا الجمالي[٣] الإستادار، وناظر ديوان المفرد في معركةٍ مع عرب دمنهور بعد أن أحرق بيوتهم، وأخذ أولادهم، فأرسل إليهم السلطان الإستادار الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ[٤]؛ لعمل مصالحة واسترجاع ما نهبه العرب[٥].

كما توجَّه الأمير زين الدين يحيى الإستادار إلى بلبيس[٦] ومعه عددٌ من المماليك السلطانية في ربيع الأول سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م؛ وذلك بسبب العربان الذين تجمعوا هناك يقطعون الطريق، ويفسدون في الأرض، فاستطاع القضاء عليهم، وعاد إلى القاهرة ومعه مجموعة من الأسرى، وسلَّمهم لوالي القاهرة[٧].

وممَّا يُلاحظُ في هذه الحملات الثلاث أن الذي كان على رأسها هو الإستادار الذي يترأس ديوان المفرد وأن طائفة المماليك السلطانية شاركوا في هذه الحملات، وهذا يُبيّنُ أهمية مَن يتولَّى وظيفة الإستادارية، وكذلك يعطي صورةً عن االنفقات التي تخرج من هذا الديوان، والتي تنفق على المماليك السلطانية التي تخرج في هذه الحملات.

---

(١) هو عبدالرازق بن أبي الفرج الأمير الوزير تاج الدين المعروف بابن أبي الفرج الأرمني كان كاتبا، ثم ولي نظر قطيا، ثم صار والي قطيا، وولي الوزارة والإستادارية معًا، ثم ولي بعد ذلك كشف الوجه البحري، ثم ولاية القاهرة ، وتلقب بعدة ألقاب إلى أن لقب بملك الأمراء مات في ربيع الآخر سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٦٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤١٩، ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٩٩، الصيرفي، (علي بن داوود الصيرفي، ت: ٩٠٠ه/ ١٤٩٥م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م ، ج٢، ص٣٧١.

(٣) هو آقبغا الجمالي كمشبغا علاء الدين الرومي أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة ولي عدة وظائف منها كشف الوجه القبلي والإستادارية وكشف الوجة البحري وقد كثر ظلمه عندما تولى الإستادارية مات في معركة مع العربان سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٧.

(٤) هو الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن الصاحب تاج الدين عبدالرازق المعروف بابن كاتب المناخ ولي عدة وظائف، منها، نظر ديوان المفرد والوزارة والإستادارية وكتابة السر وغيرها من الوظائف، وقد نكب وصودرت أمواله وضرب بالمقارع، مات بالقاهرة بطالا في جمادى الآخرة سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٢٧ .

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص ٢٧٨، مؤرخ شامي مجهول، حوليات دمشقية، تحقيق حسن حبشي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص٩٢.

(٦) بلبيس: تنطق بكسر الباءين وبينهما لام ساكنة، وهي مدينة تابعة لمحافظة الشرقية. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٩.

(٧) الصيرفي، نزهي النفوس والأبدان، ج٤، ص٣١٩، ٣٢٠.

وأمَّا عربان الصعيد، فكانوا أكثر ضراوةً من عربان الوجه البحري، فقد كثر شرُّهم، وزاد عن الحد، ففي ربيع الآخر سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م توجَّه الأمير فخر الدين بن أبي الفرج[١] إلى الوجه القبلي؛ لمحاربة العربان، فتتبعهم من أسيوط مدة خمسة أيامٍ حتى قريب أسوان، فقاتلوه، فجُرِحَ كثيرٌ منهم، وقُتِل جماعةٌ نحو المائتين، وانهزم باقيهم إلى الواحات[٢].

وقد كثرت ثوراتُ عربان الصعيد في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/١٤٦٧ – ١٤٩٦م)[٣]، وامتازت بالشراسة، فأرسل إليهم السلطانُ حملةً[٤] حملةً[٤] بقيادة الأمير يشبك من مهدي[٥] الإستادار في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، فهزم العربان، ونهب بلادهم، وأسر نساء العربان وأولادهم، حتى قيل: إنَّه أحضر معه أربعمائة امرأة، وقد مات منهم من الجوع عددٌ كبيرٌ، الأمر الذي أغضب العربان؛ فسلبوا المسافرين، ووقع منهم غاية الفساد[٦].

---

(١) هو عبدالرازق بن أبي الفرج الأمير الوزير تاج الدين المعروف بابن أبي الفرج الأرمني كان كاتبا، ثم ولي نظر قطيا، ثم صار والي قطيا، وولي الوزارة والإستادارية معا، ثم ولي بعد ذلك كشف الوجه البحري، ثم ولاية القاهرة ، وتلقب بعدة ألقاب إلى أن لقب بملك الأمراء مات في ربيع الآخر سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٦٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٦٥، ٤٦٦، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص١٦١.

(٣) هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي جلبه الخواجا محمود الرومي إلى إلى القاهرة في سنة ٨٣٩هـ /١٤٣٥م فاشتراه الأشرف برسباي وأنزله كتابيا ترقى في المناصب فصار دوادارا في سلطنة الأشرف إينال ثم أمير عشرة ثم شاد الشراب خاناه ثم صار من مقدمي الألوف ثم صار رأس النوبة الكبرى في سلطنة الظاهر يلباي ثم الأتابكية في سلطنة الظاهر تمربغا ولي السلطنة في رجب سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م بعد اجتماع الأمراء عليه واستمر في السلطنة إلى أن مات في ذي القعدة سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م وكانت مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوما. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٣٢٤، ٣٢٥، عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٤، ج٣، ص٣٤٩، ٣٥١، ابن الحمصي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت: ٩٣٤هـ/١٥٢٨م): حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبد العزيز فياض، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) ينظر: (حملات الأمير يشبك من مهدي الدوادار على صعيد مصر (٨٧٣_٨٨٣هـ/١٤٦٨_١٤٧٨م) بحث للأستاذ الدكتور/ عمر جمال محمد علي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب، جامعة سوهاج، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٨م، ص٣٤١ : ٣٤٨.

(٥) هو الأمير يشبك من مهدي الظاهري جقمق ويعرف بالصغير، وُلِّي عدَّةَ وظائفَ، منها: الدوادارية، والوزارة، والإستادارية، وتزايدت عظمته ولم يفته من السلطنة إلَّا الاسم، مات مقتولًا في رمضان سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٢ : ٢٧٤.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٥.

أيضًا في رجب سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م عاد الأمير يشبك من مهدي الإستادار من بلاد الصعيد بعد أن مكث سبعة أشهر؛ لصد فساد العربان، ففعل بهم ما لم يسمع بمثله، فحرق جماعةً بالنار، وسلخ جلدَ آخرين، ودفن جماعةً في التراب أحياء؛ فدخل الرعب منه في قلوب العربان، وعاد بمجموعةٍ كبيرةٍ من الذهب، والخيل، والجمال، فأخلع عليه السلطان خلعة سنية[١].

وقد وصف بعضُ المؤرخين الأمير يشبك من مهدي بالقسوة ضد العرب، في حين وصفه البعض الآخر أنَّ هذه القسوةَ من مهام وظيفته، فيقول السخاوي[٢]: إنَّه لما كان الأمير يشبك بالصعيد قام بوظيفته خيرَ قيامٍ.

ويُلاحظ في هذه الحملة عدَّةُ أمورٍ:

١- أنَّ الذي كان على رأسها هو الأمير يشبك من مهدي، والذي كان من أعظم الأمراء؛ لكونه كان يتولَّى عدَّةَ وظائفَ، منها: الإستادارية، والدوادارية، وكشف الكشاف.

٢- طول مدة هذه الحملة؛ فقد مكثت سبعة أشهر كاملة.

٣- شارك في قوام الجيش مجموعةٌ من المماليك السلطانية، وعددهم: مائتا مملوكٍ[٣]، وتقع نفقة هؤلاء على ديوان المفرد، وهذه النفقة بخلاف الجوامك المرتبة شهريًّا على الديوان، ممَّا زاد في نفقاته.

وتكرَّرت حملات الإستادار يشبك من مهدي، وسفره إلى الصعيد، فقد أسند إليه السلطان الأشرف قايتباي أمر عربان الوجه القبلي قاطبة، ففي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م خرج الإستادار يشبك من مهدي إلى الصعيد بسبب تلك الفتنة التي وقعت بين يونس بن عمر الهواري[٤] وبين أحد أقاربه، فلم يظفر بهم، فخرج إليهم في العام التالي، واستطاع أن ينتصر عليهم بعد أن تتبعهم إلى بلاد النوبة[٥]. وقد أراد السلطان قايتباي إحكام قبضته على عرب هوارة؛ فقام بتعيين الإستادار يشبك من مهدي في إمرة هوارة، فعُدَّ ذلك من النوادر؛ لأنَّ هذه أول مرةٍ يتولَّى فيها أميرٌ إمرة العرب[٦].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣.

(٢) الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٢.

(٣) الصيرفي، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م ، ص١٢٢.

(٤) هو يونس بن إسماعيل بن يوسف أمير عربان هوارة، وكان مشهورا بالشجاعة، قبض علية الأمير يشبك الدوادار في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م بعد أن تتبعه إلى بلاد النوبة وقام بقطع رأسه وبعث بها إلى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة أياما. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٦.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٦.

(٦) عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل، ج٧، ص١٨٥، ١٨٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٦، عبدالرحمن محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي، سلسلة أعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م ص١١٥.

وفي صفر ٩١٧هـ/١٥١١م سافر الإستادار طومان باي[١] إلى الغربية بسبب فساد العربان، وهاجمهم، ففرُّوا من أمامه، فعاد في ربيع الأول من نفس العام، وأخلع عليه السلطان[٢].

واستمرَّت ثوراتُ العربان حتى نهاية دولة المماليك الجراكسة، فكانوا -دائمًا- مصدرَ قلقٍ للسلاطين، الأمر الذي كلَّف كثيرًا من الأموال والسلاح والرجال.

وترجعُ ثوراتُ العربان إلى عدَّة أسبابٍ، وهي:

أولًا- السبب العنصري:

فقد رأى العربُ أنَّهم أحقُّ بالملك من المماليك الذين مسَّهم الرق، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة؛ للقيام بثوراتهم ضد سلاطين المماليك.

ثانيًا- الدافع السياسي:

كان الدافعُ وراءَ ثورات العربان سياسي؛ بهدف إلغاء الحكم المملوكي، والتخلُّص منه، وإعادة السلطة إلى العرب أصحاب السيادة القديمة على البلاد منذ الفتح الإسلامي لمصر[٣].

ثالثًا- الدافع الاقتصادي:

كان لتدهور الحالة الاقتصادية التي عمَّت البلادَ المصريةَ في عصر سلاطين المماليك الجراكسة، وسياسة الاحتكار التي سار عليها السلاطينُ، وغلاء الأسعار؛ وذلك من أجل فرض الرسوم المالية المجحفة من أجل تجهيز الجيش المملوكي تجاه أعدائه[٤]، وتعسُّف أمراء المماليك في تحديد أثمان الحاصلات الزراعية، واحتكارهم لبعض أصنافٍ منها، كل ذلك كان سببًا في قيام العربان بثوراتهم ضد المماليك[٥]، كما كان سوء سلوك أمراء المماليك ضد العربان، ومحاولات إذلالهم، من خلال سبي نسائهم - سببًا في القيام بثورات ضدهم[٦].

وقد ترتَّب على ثورات العربان عدَّةُ نتائجَ، أهمها:

---

(١) هو السلطان الأشرف طومان باي من قانصوه الناصري، هو الحادي والعشرون من ملوك الجراكسة، اشتراه الأشرف قانصوة الغوري وقدمه إلى الأشرف قايتباي فصار من جملة الكتابية، تولَّى عدَّةَ وظائفَ، منها إمرة عشرة، وإمرة طبلخاناه، والدوادارية الكبرى، والإستادارية، وكاشف الكشاف، ونائب الغيبة، ولي السلطنة بعد موت السلطان الغوري في قتاله مع السلطان سليم العثماني، واستمرت الحرب بينه وبين السلطان سليم العثماني، وانتهي الأمر بمسكه وشنقه على باب زويلة في ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص١٠٢، ١٧٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٢١٥، ٢١٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٣.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٠٩.

(٥) أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص١٢٩.

(٦) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٤٤، ٤٥.

ساعد قيامُ ثورات العربان على خلق نوعٍ من الانعدام الأمني في ربوع البلاد، ممَّا أوجد الاضطرابَ الاقتصاديَّ في أحيانٍ كثيرةٍ، وتسبَّبَ في غلاء الأسعار(١).

زيادة النفقات الحربية على الحملات التي عكف السلاطين على تجهيزها لمواجهة فساد العربان؛ إذ كان على السلاطين أن ينفقوا على الأمراء والمماليك والأجناد المعينين في هذه الحملات؛ لكي يتمكن هؤلاء من تغطية نفقاتهم أثناء هذه الحملات(٢).

٣: نفقات الحملات العسكرية:

لقد أُنشئ ديوانُ المفرد من أجل النفقة على المماليك السلطانية، وطائفة المماليك السلطانية هي طائفةٌ من طوائف الجيش المملوكي التي تُشاركُ في الحروب التي تخوضها الدولة المملوكية، وهذه الحروب إمَّا أن تكون لصد هجمات العربان، وإمَّا أن تكون لصد الأخطار الخارجية التي تعرَّضت لها الدولة المملوكية، وقد أسهم ديوان المفرد بشكلٍ ملحوظٍ في هذه الحروب، وذلك بالنفقة على المماليك السلطانية التي تُشاركُ في هذه الحروب.

ففي عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥هـ/١٣٩٨ – ١٤١٢م)(٣) بدأ تيمور لنك(٤) يزحف على بلاد الشام، فاستولى على حلب، ودخلها سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م (٥)، فسارع السلطان في إعداد حملةٍ كبيرةٍ لقتال تيمور لنك، وعهد للأمير يلبغا السالمي(٦) الإستادار أن يتحدَّث في كل ما يتعلَّق بالمملكة، فقام

(١) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٦١.

(٢) محمد فتحي الزامل، التحولات الاقتصادية، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) هو السلطان النَّاصر فرج بن برقوق بن أنس الزين أبو السعادات ولد في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م واستقر في السلطنة بعهد من أبيه في شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م دون عشر سنين ثم خلع لمدة شهرين في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم أعيد في جمادى الآخرة من السنة نفسها وقد اختلف عليه مماليك أبيه كثيرا وانتهى الأمر باعتقاله ثم قتله في صفر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. ابن ظهيرة (شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ظهيرة، ت: ٨٨٨هـ/١٤٨٣م)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٨، عبد الباسط بن خليل، نزهة الأساطين فيمن وُلِّي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٢٠.

(٤) هو تيمور لنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج ظهر في سمرقند وتغلب على ملكهم محمود بعد بعد أن كان أتابكه، دخل في حروب مع المدن التي حوله فملكها وعظمت دولته وكان له قتال مع الدولة العثمانية والدولة المملوكية، مات في شعبان سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٧م. السخاوي، الضوء اللامع ج٣، ص٤٦، ٤٧، ٤٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٢٣.

(٦) هو يلبغا أبو المعالي السالمي الظاهري برقوق الحنفي جلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم، فاشتراه برقوق وصيره من الخاصكية، وتنقلت به الأحوال إلى أن وُلِّي الإستادارية، فسار فيها

الأمير يلبغا السالمي في تجميع الأموال اللازمة، وفرض على سائر أراضي مصر ضرائب، وجبَّى من إقطاعات الأمراء وبلاد الخاص السلطاني، وأخباز الأجناد، وبلاد الأوقاف عن كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس، كما أخذ عن أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما المستأجرة أجرة شهرٍ، وأخذ عن كلِّ فدانٍ مزروعٍ قمحًا، أو فولًا، أو شعيرًا عشرةَ دراهمَ، ومائةَ درهمٍ عن كلِّ فدانٍ مزروعٍ قصبًا، أو قلقاسًا، أو بساتين، ثم استدعى التجارَ، وطلب منهم مالًا على سبيل القرضِ[١]، ودار بنفسه على الفنادق بالليل، فإذا وجد صاحبَ الفندق أخذ نصفَ ما يجدُه من نقودٍ سواء أكان ذهبًا، أم فضةً، أم فلوسًا، وإذا لم يجد صاحبَه استولَّى على جميع حواصل الفندق[٢]، وألزم أصحابَ الغلال المعدَّة للبيع في المراكب بسواحل القاهرة أن يُؤخذَ منهم عن كلِّ أردب غلَّةٍ درهمًا، وأن يُؤخذ من كل مركب من المراكب التي تسير فيها الناس مائةَ درهمٍ[٣].

وهذه الجبايات والمصادرات والضرائب من ضمن الأسباب التي تُؤدِّي إلى عزل الإستادار من وظيفته ومصادرته.

وبعد أن قام الإستادار يلبغا السالمي بتحصيل الأموال أخذ في عرض أجناد الحلقة[٤]، وألزم القادرَ منهم على السفر بالخروج للحرب، ومَن لم يستطع ألزمه بحضور بديلٍ عنه، وأحضر ما يقرب من عشرة آلاف فارس من عربان البحيرة والشرقية وغيرهما، وجهَّزهم بالأموال، والسلاح لحرب تيمور لنك[٥].

وعندما هاجم شاه سوار بن دلغادر[٦] أطراف الدولة المملوكية[١] أرسل إليه السلطان قايتباي حملةً لتأديبه، ولكنَّ جيشَ السلطان انكسر، وتمكَّن شاه سوار من

سيرةً حسنةً، وأبطل مظالمَ كثيرةً، ثم استقرَّ في الوزارة بعد ذلك، ثم عمل مشيرًا ثم سلم لجمال الدين الإستادار، فعاقبه ونفاه إلى الإسكندرية ولم يزل بالسجن إلى أن مات في محبسه خنقًا سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٩.

(١) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٥٤٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦١٩، ٦٢٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٢٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٥٠.

(٤) أجناد الحلقة: هم مماليك السلطان والأمراء السابقين وأولادهم، وهؤلاء احترفوا الجندية، وأصبحوا بمثابة جيش ثابت للدولة. ابن زنبل الرمال (شهاب الدين أحمد بن علي المحلي، ت: ٩٦٠هـ/١٥٥٢م) آخرة المماليك، أو واقعة السلطان الغوري مع سليم الأول، تحقيق: عبد المنعم النمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٧.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٦٢٢.

(٦) هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني ويسمى محمد وقيل له شاه سوار نائب الأبلستين ومرعش، خرج عن الطاعة ومشى على بعض البلاد الحلبية محتجا بأنها لآبائه وأجداده فقرر الظاهر خشقدم في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٧م عوضه أخاه بضع على عادته من قبل فاستعان شاه سوار في إسترجاعها منه بملك الروم ابن عثمان وخرج إليه نواب الشام وحلب

الاستيلاء على عدَّة مواقعَ مهمةٍ[٢]، وقد أنفق السلطان قايتباي في البداية على هذه الحملة ١٤١٧٠٠ دينار[٣] ، ثم أنفق عليها بعد ذلك ٢٠٠٠٠٠ دينار [٤]، ثم قام السلطان قايتباي بعد ذلك بتجهيز حملة لحماية حلب أنفق عليها ١٠٠٠٠٠ دينار، وكل هذه النفقات جعلت السلطان في ربيع الآخر ٨٧٣هـ/١٤٦٨م يستشير القضاة في قطع جوامك[٥] العواجز من الجند والنساء؛ لأنَّ ديوان المفرد كان في غاية العجز، وذلك بسبب خراب البلاد الجارية فيه[٦].

ثم أرسل السلطانُ حملةً أخرى في عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م؛ لاستعادة القلاع التي استولَّى عليها شاه سوار، وأنفق عليها ٤٠٠٠٠٠ دينار، ولكنَّ هذه الحملةَ بائت بالفشل أيضًا[٧]، فبدأ شاه سوار في مهاجمة أطراف حلب[٨]، فأرسل السلطان قايتباي حملةً عسكريةً أنفق عليها ٥٠٠٠٠ ألف دينار لحماية حلب من شاه سوار[٩]، ولم يستطع السلطان الأشرف قايتباي السكوت عن ذلك التهديد الخطير، فأرسل حملةً كبيرةً بقيادة الإستادار يشبك من مهدي للقضاء على شاه سوار[١٠].

وغيرهما فهزمهم فأرسل إليه السلطان الأشرف قايتباي العديد من الحملات حتى تمكن الأمير يشبك من هزيمته والقبض عليه وأتى به إلى القاهرة حيث شنق وعلق على باب زويلة سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م. ابن آجا (شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي، ت: ٨٨١هـ/١٤٧٦م)، تاريخ الأمير يشبك الظاهري، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م. ص١٥٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٤، ٢٧٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٧، ٧٨.

(١) ابن تغري بردي، حوادث الأيام والدهور، ج٣، ص٥١٣، ٥١٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٨٩.

(٢) ابن تغري بردي، حوادث الأيام والدهور، ج٣، ص٥١٣، ٥١٤، محمد كرد علي، خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥م، ج٢، ص٢٠٠، ٢٠١.

(٣) محمد فتحي الزامل، التحولات الاقتصادية، ص٢٤٥.

(٤) عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، ج٤، ص١٤.

(٥) الجامكية: هي الرواتب التي تصرف للمحاربين وأصلها كلمة فارسية. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠، ص٥٦، البيومي إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٩٢، إيمان عمر شكري، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٨٣.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٤.

(٧) عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، ج٤، ص٨٣، نيل الأمل، ج٦، ص٣٦٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧.

(٨) الصيرفي، إنباء الهصر، ص٧٠، ٧٩.

(٩) مؤرخ مجهول، تاريخ الملك الأشرف قايتباي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م، ورقة ٥ ب.

(١٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٥١، ٥٦، ٦٢، عبدالرحمن محمود عبدالتواب، قايتباي المحمودي، ص١٤٥.

وقد أنفق السلطانُ على هذه الحملة ٦١٠٠٠٠ دينارٍ، علاوةً على النفقات الأخرى من إمداد الحملة بالغلال، والإنعام على الأجناد المشتركين فيها بالخيول والجمال والسلاح(١).

وكذلك قام السلطانُ بإرسال ١٠٠٠٠٠ دينارٍ إضافيةً للمماليك المشتركين في هذه الحملة بعد خروجهم بعدة أشهرٍ في جمادى الأولى ٨٧٦هـ/أكتوبر_ نوفمبر ١٤٧١م(٢). ثم قام السلطان بإرسال ٤٠٠٠٠ دينارٍ أخرى في شعبان ٨٧٦هـ/يناير _ فبراير ١٤٧٢م(٣) وانتهت هذه الحملةُ بهزيمة شاه سوار، ثم أُحضر إلى القاهرة، وأُعدم على باب زويلة(٤).

وكذلك شارك الإستادار يشبك من مهدي صاحب ديوان المفرد في القضاء على دولة الشاه البيضاء(٥) عندما هاجمت هذه الدولة البلاد الحلبية بزعامة قائدها أوزون حسن (حسن الطويل)(٦)، بجيش كثيف في سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، واستولَّى على عدَّة أماكنَ في أطراف نيابة حلب(٧)، وقد انزعج السلطان قايتباي عندما وصلته أخبارُ تقدُّم جيوش حسن الطويل إلى الرها(٨)، فجهَّز جيشًا كبيرًا بقيادة الإستادار يشبك من مهدي، وأنفق السلطان على هذا الجيش ٦٥٠٠٠ دينارٍ(٩)، وأمره بالتوجُّه إلى حلب، ومحاربة حسن الطويل، وعندما وصل الإستادر إلى حلب

(١) مؤرخ مجهول، تاريخ الملك الأشرف قايتباي، ورقة ٦، أ، ب.
(٢) الصيرفي، إنباء الهصر، ص ٣٤٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٤.
(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٨.
(٤) ابن آجا، تاريخ الأمير يشبك، ص١٥٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧٧.
(٥) دولة الشاه البيضاء أو قبيلة آق قوينلو، أو قرايلوك: هو اتحاد قبائل تركمانية استقرت في منطقة ديار بكر جنوب شرقي تركيا، وكونت دولة آق قوينلو في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكان من زعماء هذه الدولة عثمان قره يولك، وأوزون حسن الطويل، سقطت هذه الدولة بوفاة آخر زعمائها وهو مراد بن يعقوب بن حسن في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م. بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، ١٨١٦م، ج١، ص١١٩، ١٢٠.
(٦) هو أوزون حسن أو حسن الطويل بن علي بك بن قرايلوك عثمان صاحب ديار بكر ومتملك العراقيين وأذربيجان توفى سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م بعد أن أخذ ملك الروم ابن عثمان جنده واستقر بعده ابنه الأكبر خليل فحاربه أخوه يعقوب وقتل بعد ذلك. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١١٢، ١١٣، ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م. ج٧، ص٣٣٤.
(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٨٠، ٨١.
(٨) الرها: مدينة مشهورة، بين الموصل والشام. ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٠٦.
(٩)مؤرخ مجهول، تاريخ الملك الأشرف، ورقة ٧/ أ.

استقبل رسولًا من عند حسن الطويل يطلبُ الصلحَ، فرفض الإستادار ذلك[١]، وعزم وعزم على القضاء على حسن الطويل؛ فأرسل قوةً من جيشه إلى ألبيرة[٢] في ذي القعدة سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م تمكَّنت من هزيمة حسن الطويل، وطرده من ألبيرة[٣].

وقد أنفق السلطانُ على هذه الحملة زيادة على ٤٠٠٠٠٠ دينارٍ أخرى، إضافةً إلى ما قام السلطان بتوزيعه من أسلحة على الأمراء والمماليك المشاركين فيها[٤].

وفي سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م أنفق السلطان قايتباي حوالي ألف ألف دينارٍ (مليون دينار) على الأمراء والمماليك الذين اختارهم للمشاركة في إحدى حملاته الحربية؛ لدرء خطر الأتراك العثمانيين[٥]، ولما تمكنت هذه الحملة من تحجيم الخطر العثماني، أصر المماليك العائدون من هذه التجريدة على طلب نفقةٍ إضافيةٍ؛ لقاءَ ما حقَّقوه من إنجازٍ، فلم يسع السلطان سوى الرضوخ لمطالبهم[٦].

وقد بلغ عددُ الحملات التي جهزها السلطان قايتباي لمواجهة خطر كل من شاه سوار، وحسن الطويل، والأتراك العثمانيين ست عشرة حملةً، أنفق فيها السلطان مبالغَ طائلةً بلغت حوالي سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستين ألف دينار[٧]، أي: (٧١٦٥٠٠٠ دينار)، وقد علَّق على ذلك عبد الباسط بن خليل[٨] بقوله: " وما هذا إلا مالٌ عظيمٌ يُتعجَّبُ منه "، هذا بخلاف النفقات الأخرى من الجوامك والرواتب العينية للمماليك[٩].

وحينما حدثت الفتنةُ بين دولة المماليك والدولة العثمانية أنفق السلطان الغوري[١٠] عدَّةَ نفقاتٍ على المماليك السلطانية، وصرف لهم اللحم، والعليق

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٨٢، ٨٤، إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٣٦، عبدالرحمن محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص١٦١.

(٢) ألبيرة: هي من بلاد الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٤٤، البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م، ج١، ص١١١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٨٦، راسم رشدي، مصر والشراكسة، مكتبة العرب، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١١٦.

(٤) عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل ج٧، ص٥٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٨٢.

(٥) عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل ج٨، ص١١١.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٥٦.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٦٠، ٢٦١.

(٨) نيل الأمل، ج٨، ص١٤٩.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٦٢.

(١٠) هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردي الغوري الأشرفي جركسي الجنس من مماليك الأشرف قايتباي ولي كشف الوجه القبلي ثم أنعم عليه الأشرف قايتباي

المتأخِّر على الديوان المفرد، وخرج السلطان الغوري على رأس العسكر المتجه إلى حلب؛ لقتال ابن عثمان، ودار بينهم القتال، وانتهى الأمر بهزيمة السلطان الغوري وموته[١].

واستمرَّت الحربُ بعد ذلك بين الدولتين حتى تمَّ القضاءُ على الدولة المملوكية نهائيًّا.

بإمرة عشرة ثم قرر في نيابة طرسوس ثم قرر في حجوبية حلب ثم مقدم ألف ثم رأس نوبة النوب فلما تسلطن طومان باي قرره في الدوادارية الكبرى والوزارة والإستادارية واستمر على ذلك إلى أن وثب العسكر على العادل واختفى في ليلة عيد الفطر في سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م فاجتمع عليه الأمراء وسلطنوه وهو كاره في شوال ٩٠٦هـ/١٥٠١م واستمر في السلطنة إلى أن مات في قتاله مع ابن عثمان في موقعة مرج دابق في رمضان سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م وكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يومًا. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢، ج٥، ص ٨٧.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤٧، ٦٣، ٦٧، ٧١.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسةُ - بتوفيق الله - الأزماتِ الماليةَ لديوان المفرد السلطاني خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤ – ٩٢٣هـ/١٣٨٢ – ١٥١٧م)، ويمكنني أن أوجزَ القولَ في عرض نتائج هذا البحث فيما يلي:

- بلغت النظمُ الإداريةُ في الدولة المملوكية درجةً عاليةً من الدِّقَّة والإحكام، وكان هذه النظامُ يرتكزُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من الدواوين نظمت سير الإدارة.
- قام السلطانُ الظاهرُ برقوق بإنشاء ديوان المفرد من أجل النفقة على كل ما يلزم المماليك السلطانية من: مرتباتٍ لهم، وعليقٍ لخيولهم، وخصص له بلادًا تزيدُ على مائة وستين بلدًا.
- تعرَّضَ الديوانُ المفردُ منذ نشأته لكثيرٍ من المشكلات، حيث كان في عجزٍ دائمٍ عن القيام بمهامه، الأمر الذي كان يعرض القائمَ على الديوان للعقوبة من قبل السلطان.
- كان من ضمن الأسباب التي أدَّت إلى عجز الديوان عن القيام بمهامه هو الإهمال الذي عمَّ بلادَ الديوان؛ وبالتالي خراب البلاد الجارية في الديوان.
- قام بعضُ السلاطين بالاستيلاء على جزءٍ من إقطاعات الديوان المفرد، ومنحها للأمراء؛ وبالتالي أدَّى ذلك لعجز الديوان عن القيام بنفقاته.
- كانت هناك محاولاتٌ من قبل سلاطين المماليك للنهوض بالديوان المفرد، فكانوا يقومون بمدِّ الديوان بأموالٍ إضافيةٍ، إلَّا أنَّه مع هذه المحاولات ظلَّ الديوانُ في عجزٍ دائمٍ.
- ثبت من خلال البحث أنَّ هناك طائفةً من الإستادارية قاموا بالاستيلاء على جزءٍ من أموال الديوان؛ وبالتالي أدَّى ذلك إلى عجز الديوان عن القيام بمهامه.
- كانت كثرةُ النفقاتِ التي تخرجُ من الديوان؛ لمواجهة فساد العربان، أو لمواجهة الأخطار الخارجية التي تُهدِّدُ الدولة – تُمثِّلُ عاملًا كبيرًا في عجز الديوان عن القيام بمهامه.

المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر:

- **ابن آجا (شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي، ت: ٨٨١هـ/١٤٧٦م):**
تاريخ الأمير يشبك الظاهري، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.
- **ابن إياس (محمد بن أحمد إياس الحنفي ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):**
بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفي، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- **البغددي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت: ٧٣٩ه/١٣٣٩م):**
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م.
- **البقاعي (إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥ه/١٤٨٠م):**
إظهار العصر لأسرار أهل العصر، تحقيق: محمد سالم، الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢م.
- **ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):**
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.
- **ابن تَغْري بِرْدِي (جمال الدين أبو المحاسن يُوسُف بن تَغْري برْدي الأتابكي، ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):**
حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: فهيم شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م.
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- **ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):**
إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- **ابن الحمصي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت: ٩٣٤هـ/ ١٥٢٨م):**
حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبد العزيز فياض، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م.

- **ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المصري، ت: ٨٠٩هـ/١٤٠٧م):**
الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، ١٩٨٢م.
- **ابن زنبل الرمال (شهاب الدين أحمد بن علي المحلي، ت: ٩٦٠هـ/١٥٥٢م):**
آخرة المماليك، أو واقعة السلطان الغوري مع سليم الأول، تحقيق: عبد المنعم النمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):**
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- **ابن شاهين الظاهري (غرس الدين بن خليل الظاهري، ت: ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):**
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩١م.
- **الصيرفي (علي بن داوود الجوهري الصيرفي، ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م):**
إنباء الصهر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- **ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):**
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م.
- **العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله، ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م):**
التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- **عبد الباسط بن خليل (عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، ت:٩٢٠هـ/ ١٥١٤م):**
الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٤م.
نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.
نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **القلقشندي (أبي العباس احمد القلقشندي، ت: ٨٢١هـ / ١٤١٨م):**
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

- **ابن كنان (محمد بن عيسى بن كنان، ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م):**

حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عيسى صباغ، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م.

- **المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م):**

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

البيان والإعراب عمَّا بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد النعيم ضيفي عثمان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- **مؤرخ شامي مجهول:**

حوليات دمشقية (٨٣٤ ـــــ ٨٣٩م)، تحقيق: حسن حبشي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

- **مؤرخ مجهول:**

تاريخ الملك الأشرف قايتباي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م.

- **ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):**

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

ثانيًا- المراجع العربية:

- **إبراهيم علي طرخان:**

مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

- **إيمان عمر شكري:**

السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- **البيومي إسماعيل:**

النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- **أحمد مختار العبادي:**

قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

- **حمدي عبد المنعم:**
دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- **راسم رشدي:**
مصر والشراكسة، مكتبة العرب، القاهرة، ١٩٤٨م.
- **سعيد عبد الفتاح عاشور:**
الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.
العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.
المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٩٢م.
- **عبد الرحمن محمود عبد التواب:**
قايتباي المحمودي، سلسلة أعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
- **عبد المنعم ماجد:**
التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، (دراسة تحليلية للازدهار والانهيار) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **قاسم عبده قاسم:**
النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
- **مجدي عبد الرشيد بحر:**
القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.
- **محمد أحمد دهمان:**
معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.
- **محمد فتحي الزامل:**
التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **محمد كرد علي:**
خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥م.

ثالثًا- الكتب الأجنبية المترجمة:

- **آشتور:**

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م.

رابعًا- الدوريات:

- **عمر جمال محمد علي:**

حملات الأمير يشبك من مهدي الدوادار على مصر (٨٧٣- ٨٨٣هـ/١٤٦٨- ١٤٧٨م)، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٨م.